حسب النقطه الثانيه نواجه الغايات فنعدمها إلا واحـدة وفى هذه الفعلة نحن نحصر أنفسنا فى نطاق واحد ونعدم ماعداه. فتكون الحرية عند الاختيار متوقفة على العـدم المتمثل فى عملية الاعـدام هذه أى ذلك العدم الذى ينزل بساحة الغايات الأخرى التى لم يقع عليها الخيار . أما حسب النقطة الثالثة فنذهب بعيداً لننظر فى العدم الذى يحول بينى وبين تحقيق الغاية التى اخترتها. إن الدافع والفعل والغاية تكون لدى سارتر شيئا واحدا متصلا وتعد فى نظره كلا ملتحما . وهذا عادى جداً فى نظر الفيلسوف الذى لا يعترف بالتجزئة فى الشىء مادام من الممكن استكماله فى الزمن . إن الزمن جميعه يعمل الفيلسوف حسابها ولا يخشى من الحكم عليه بأنه ينظر فى أمور لا وجود لها . لقد كان أرسطو مهتما خصـوصاً بالبحث فى العلة الغائية ولم يخش تقول القائلين ومزاعم الناقدين الوضعيين من أبناء العصر الحاضر . وكان يريد ألا ينظر إلى الوسـائل إلا من خلال الغاية ولا يتطلع إلى الاجزاء إلا من نوافذ الكل المكتمل وإذا كان هذا دأبه فـلا بد من الشعور بأن المستقبل على الرغم من أنه فى جوف العدم ، يحتوى على حقيقة وجودية هامة هى حقيقة الغاية التى نعمل على تحقيقها بالوسائل المختلفة والأدوات المتباينة . فالغاية ليست بمفردها ولا تقوم بمعزل عن الفعل والحافز فى فكرة الحرية تبعاً للنظرة الوجودية الفلسفية . ولـكن لا يعنى ذلك أن الغاية موجودة وجوداً واقعياً ؛ إذ أن العدم يفصل بينها وبين الوجود الوقتى فى اللحظة الحاضرة . فالحرية عند سارتر تتعلق بالغاية ، والغاية بعيدة عن الواقع بقدر ما يبطلها العدم أو بقدر ما يرفضها الوجود ؛ وإذا تحققت صارت واقعاً وتمت الحرية . ولهذا تتصف الحرية بالخلق وتتصف باللامعقولية فى آن معا لاستحالة الوقوف على المستقبل بصورة أكيدة ولصعوبة التعرف الموثوق به على منبع الإمكانيات المتدفقة فى الوجود الثر .

وهكذا ننتهى من التخطيط المتافيزيقى لفكرة الحرية حسبما تمثلت فى فلسفة سارتر خاصة وعند أضرابه من الوجوديين المحدثين. ولكن لهـذه الفكرة فى المذهب الوجودى تخطيط آخر من الجانب الأخلاق البحت سنحاول أن نبحثه فى مناسبة قادمة . وكل ما نتمناه هو أن نعطى صورة واضحة عن هذه الأصول الفلسفية لدى الغربيين حتى نستكمل مقوماتنا الروحية وحتى نضع الدليل الدامغ على أننا نستطيع أن نناقش ونستطيع أن نؤمن مهما كانت درجة الخطورة فى الأفكار المنقولة من شمس الأصيل فى حضارة الغرب .

عبد الفتاح البحرى

جـــــان دارك

(١٤١٢ — ١٤٣١)

سيظل اسم جان دارك مقروناً بالإعجاب والدهشة إلى الأبد، لأن هذه الفتاة البسيطة أنفذت فى حياتها القصيرة عملا جليلا . تعد من معجزات الدهر . وهى بذاتها وحدة من عناصر العظمة، وقائدة حيث نسى معنى القيادة، وإلهام فى جيل انعدم فيه الإيمان ، ومنقذة لبلادها من وهدة الضياع .

وجان دارك رمز خالد للمحاربين الفرنسيين الذين عملوا معها على خلاص بلادهم من يد الإنجليز ، وهى للفرنسيين الوطن الذى له يحيون ومن أجله يموتون ، وهى فى نظر الإنجليز ليست أقل من ذلك . ويقترن الاحترام المطبوع فى نفس كل إنسان لجان دارك بالعار الذى لطخ الإنجليز به التاريخ بإحراق هذه الشهيدة القديسة ولا سيما إذا علمنا أن سبب إعدامها هو تخليص وطنها . ولتعجب عندما تعلم أن تسليمها إلى يد معذبيها كان بواسطة مواطنيها من أجل ثلاثين قطعة فضية بيعت بها .

ونتلخص قصة هـذه البطلة فى أن فرنسا كانت تحت حكم الإنجليز ، وكان الملك فى عهدها معتوها يطلق عليه الفرنسيون (ملك البورج) تهكما وسخرية ؛ لأن منقطة البورج هى كل ما بقيت له مما ورثه عن آبائه العظام. وكان حال الأمن فى فرنسا على أسوأ ما يكون . فإلى جانب اعتداء جيش الاحتلال كان نهب قطاع الطرق وسلب اللصوص . وتعطلت الأعمال فى نصف الأراضى الفرنسية بما عليها من كنائس جميلة البناء وقرى مستقرة بزرعها وصناعاتها بينما كان ولى العهد محاطا ببطانته السيئة يحيا حياة فراغ وكسل وإهمال .

ومن هذه الصورة التى رسمتها لك قامت لنجدة فرنسا فتاة قروية لا شأن لها إلا رعاية أغنام أبيها وقطعانه ، أو تطريز أقمشة للكنيسة بمساعدة أمها . وكان قلبها ملآن بالورع والتقوى تتخيل وهى أمام القداس أنها ترى الضوء المنعكس على زجاج نوافذ كنيسة دومرمى الصغيرة كأنه نصر مزدهر للإيمان والوحى اللذين لم

تستطع أن تفهم كنههما بأكثر من أنهما هبة من الله القدير .

وكانت عذراء دومرمى تستمع إلى قصص الحرب وأهوالها في أبنـــاء وطنها وسلب أراضي بلادها ، وقوى أثر هـذه القصص في نفسها فملأها قوة وحماسة . وتحول إيمانها الذي أكسبتها الكنيسة إياه إلى ما يشبه الوحي المنزل عليها من السماء . وتخيلت أنها ترى قديسين يزهون في لباسهم الأبيض الناصع ينادونها أن خلصي فرنسا ، بل لقد أفزعتها يوماً أصوات تحدثها وهي منفردة في حديقة دارها (يا ابنة الله ، إلى الأمام وأنا معك) .

أنصتت لهذه الأصوات وهي مأخوذة خائفة ، وأصبحت تحيا في عالمين أحدهما بيتها والثاني السماء والقديسون والملائكة . واعتقدت أن الله يوحي إليها . وهكذا رسخت هذه العقيدة في نفسها إلى آخر يوم في حياتها .

ومن هذا الإيمان الناهض الذي لا يمكن تفسيره بانت معجزتها . ولسنا إزاء الحقائق التي حصلت على يدها بقادرين على انكارها ، فانها قلبت التاريخ رأساً على عقب . ولم تبلغ هذه العذراء سوى ست عشرة سنة عندما نهضت لخلاص فرنسا وتثبيت عرش ملك مزعزع وطرد الانجليز ومنح بلادها روحا جديدة جعلتها بين مصاف الدول الكبرى . وبدأت مخاطراتها العظيمة مسلحة بالإيمان بالله ، ولم يستطع أحد ارجاعها عن عزمها بل لم يجد غضب أبيها ولا اغراؤها ولا السخرية منها بل ولا حرمان الكنيسة شيئاً لردعها عن تصميمها ، وصرح لها أبوها بانه يفضل إغراقها في نهر الماز على أن يراها تمتطي صهوة جواد بجانب الجند . وعندما قابلت حاكم المدينة وطلبت اليه تقديمها إلى ولي العهد لتبليغه رسالتها طردها مشيعا إياها بالسخرية ، وعندما اجتمع الحاكم بعمها وقسيس الكنيسة تداولوا في شأنها فلم يسع القديس إلا أن يطلب إلى الله أن يبعد عنها الأرواح الشريرة .

ولكن لله حكمه : يختار أبسط الأشياء ليحير به الألباب . وفي النهاية تم النصر لجان إزاء أصرارها ، فان حاكم فاكولير أرسلها مع جنديين إلى البلاط في شينون مرتدية ملابس الفتيان ، وسافرت مع رفيقيها أحد عشر يوما في طريق غير مأمونة ، فكانوا ينامون النهار ويسيرون الليل اجتنابا لمصادمة الفرق الانجليزية الجوالة ، ويخوضون الأنهار حتى لا يدخلوا المدن . وكانت تتمم وهي سائرة (ممهد الله السبيل إلى فاني خلقت لهذا) حتى بلغوا البلاط حيث كان يقضي الملك شارل السابع أيامه وسط المهرجين والمنافقين .

وكانت جان ترى ان الملك الطيب هو الذي يكرس حياته لأسعاد بلاده ومع ذلك أرادت أن تثبت عرش شارل السابع وهو مجرد من كل فضيلة لأن تثبيته تثبيت للملكية وهي أساس نظام الحكم في فرنسا

أرادت أن يخلص أمر فرنسا ليد ولي العهد ليسير بها إلى المجد عن طريق جديدة غير التي سلكها أبوه ، وأن يبدأ هذه الطريق بتتويجه ملكا أمام جميع الفرنسيين — وبعد انتظار يومين مثلث بين يديه . ومما لاشك فيه ان هذه المقابلة كانت مثارا للغرابة والتسلية . وسارت العذراء القروية التي كانت تجهل كل من قابلتهم في البلاط إلى حيث الملك وركعت أمامه وقالت مشيرة الى ولي العهد بارك الله في حياتك . فابتسم ولي العهد وقال لها : لست أنا الملك ها هو جلالته . فاجابته . أيها الأمير الرقيق ، انك هو وليس غيرك ، أرسلني اليك ملك السموات لأبشرك أنك ستتوج ملكا في ريمس . ثم همست في أذن الملك شارل بكلمات عدها فيما بعد برهانا ساطعا على ولائها وصدق الهامها :

. كان الملك في أول الأمر تحت تأثير عاملين : أحدهما نوع من الهيبة من هـــذه الفتاة الغريبة التي جاءته وفيها قوة مقدسة ؛ والعامل الآخر هو السخرية والتهكم اللذان قابل بهما كل فرد مطالبها الغريبة . ولكن الأمر انتهى بانحياز الملك إليها وأعلن أن جلالته اقتنع بقداسة الفتاة وأنه قرر الانتفاع بها .

وكان الجيش الانجليزي محاصراً لأورليان وسادا الطريق إلى ريمس ؛ فكان أول أوامر الفتاة طرد الفصائل الإنجليزية من خطوطها ورفع الحصار . وأعطيت علماً أبيض ذهبياً مرسوماً عليه صورة المسيح فكانت طوال أوقات انتصاراتها تحمل هـذا العلم ، وأتى إليها بسيف لم تستخدمه مطلقاً من وراء محراب تصورت أنه أوحي إليها به ؛ فكنت تراها صورة مقدسة في لباسها الأبيض تجتاز على جوادها الطرق منتصرة كأنها رسالة الله إلى وطنها .

وتقرر تنصيبها قائدة على رأس الجيوش الملكية . وفي أبريل من

سنة ١٤٢٩ سارت بجيشها إلى أورليان حيث طلبت من الإنجليز — بأمر الله القاهر — مفاتيح المدن التي استولوا عليها عنوة واقتداراً ورجت منهم الخروج من البلاد ، وأعلنت في حالة عدم تصديقها (أنها ستقيم ثورة في البلاد لم تعرفها فرنسا منذ آلاف السنين) .

وسخر منها المتعصبون وأجابوا على طلبها بأن الأجدر بها الرجوع إلى مهنتها : حلب الأبقار ورعاية الأغنام . ولكن كان في هذه الراعية إلى جانب إيمانها الثابت برسالتها صفة القيادة ، وكانت أكثر من مساعديها من القواد عرفاناً بالواجب الملقى على الجيش ، فاندفع الجنود والمتطوعون متأثرين بروحها فيهم إلى الحصون الإنجليزية واستولوا عليها وارتد الأعداء هاربين وقد انكسرت قوتهم ، وأزيل الحصار الذي لزم لإقامته سبعة أشهر في ثمانية أيام؛ وأصبحت جان دومرمي بطلة أورليان .

أذيعت أخبار هذا النصر في كافة أرجاء فرنسا ، وكانت لغرابتها غير مصدقة بل قوبلت في البلاط بنوع من الخوف والريبة . ولما طلبت جان إلى ولي العهد أن يتبع الانتصار بالسير إلى ريمس أجاب بأن في الوقت متسعا لهذا فردت عليه قائلة : تنبأت أني (سوف لا أعيش غير سنة واحدة فاستغل وجودي) ولقد صدقت النبوءة فإنها لم تعش غير عام واحد وأي عام !! ففي طريقها إلى ريمس سلمت مدينة تروس بمجرد ظهورها أمام أبوابها ثم سقطت شالون. ولما كانت هذه المدينة لا تبعد إلا قليلا عن دومرمي سار إليها جيرانها ليتأكدوا من صحة كل ما سمعوه عن عذرائهم .

ولم تستمر النزوة أكثر من ستة أسابيع امتاز كل يوم فيها بالنصر المبين ، وركب شارل إلى ريمس حيث توج ملكا في كنيستها ، رمز فرنسا الروحي — وركعت جان المنصورة أمامه صامتة وعيناها مغرورقتان بالدموع : (لقد تم ما أراده الله).

ولو قدر لقصتها أن تنتهي إلى هذا الحد ؟ ولكن القدر فرض عليها أن لا تكون خاتمة بطولتها في كنيسة ريمس بل في كنيسة روان بعد سلسلة أليمة من الغدر والهزيمة والفزع إذ حكم عليها بالموت الشنيع . وتفصيل الخبر أن جان قررت العودة إلى قريتها وفي يدها المكافأة الوحيدة التي طلبتها وهي إعفاء قريتها من الضرائب ولا تجد في سجلات ضرائب مدن وقرى فرنسا أمام قرية دومرمي إثباتا لدفع الضرائب مدة ثلاثمائة وستين سنة .

إذن نجحت جان في عملها . وحركت نشوة النصر في نفوس قواد الجيش رغبة في التوغل . وترددت جان لأول مرة منذ خروجها من قريتها في قبول هذه الرغبة وتهيبت التوغل المطلوب فلقد أتمت ما أملاه عليها وحيها وهو لا يطرق صوته أذنها الآن ، إلا أنها واصلت الغزوات ممتزمة تخليص باريس . وسلمت لها سواسون وكذلك شاتوفيري . ومن الغريب المدهش أن الملك شارل الخبيث الذي قامت جان بهذه الأعمال من أجله عقد اتفاقاً سرياً مع أعدائه خان فيه جيشه ؛ ففي الوقت الذي كاد يتم فيه تخليص باريس استدعى قواده وترك جان وحيدة من غير معين .

حتى هذه اللحظة لم يستطع أعداء فرنسا هزيمة جان إلا بأن إهمال الملك أباها غير من حظها فقد هبط ميزان الإخلاص لها ولكنها ظلت برغم هذا الغدر موالية للبلاط . ذهبت إلى كنيسة سانت دنيز وألقت عن نفسها لباسها الحربي وتركته على هيكل الكنيسة واندمجت في البلاط مدة قصيرة مخلصة له فلما رأت أن لا محل لها به هجرته .

لا بل إنها مدت يد المساعدة مرة أخرى إلى هذا المخلوق المسكين الذي أهملها وهي التي توجته وذلك في كامبين حيث حلت به ورطة كادت تفقده حياته فأسرعت إليه وألفت فصيلة للسعي إلى تخليصه . وفي أثناء هجوم غير منظم أحاط الأعداء بها فسقطت عن جوادها وقبض عليها ثم بيعت إلى الانجليز مقابل دراهم معدودة .

لم يمد أحد يده لنجدتها. نعم إن سكان المدن الذين خلصتهم بكوا من أجلها ولكن فرنسا الرسمية لم تحرك ساكناً بينما أشعلت باريس المشاعل وأخذ أهلها يغنون فرحين لأن جان قيدت بالسلاسل وأودعت قفصاً من حديد، وفي روان أخرجوها من قفصها وشدوها إلى عمود يحرسها الجند ليلا ونهاراً يتجسسون عليها ، ثم واجهوها في كنيسة صغيرة في معقل روان بقضاة عينوا لمحاكمتها.

وليس هناك انجليزي واحد لا تخجله هذه الصفحة من تاريخ انجلترا. ولو عذرنا الإنجليز فيما فعلوه بجان لأنها عدوة لهم يرون فيها ساحرة ذات دهاء وخبث وقوة وإصرار

فما الذى نقوله عن مواطنيها أنفسهم الذين تخلوا عنها وباعوها ثم قعدوا ساكنين لا يتحركون يشاهدون أدق فصل من فصول مآسى التاريخ كما يشاهد المتفرج قصة بسيطة على مسرح التمثيل ؟

وكان لا بد من محاكمة جان دارك بتهم وضعوها لها وأحاط بها القضاة كما تحيط الذئاب الكاسرة بالحمل الوديع مصممة على الفتك به. هددوها بالتعذيب وأمطروها وابلا من الأسئلة ولكنها رغم كل ذلك بقيت على انكارها للتهم التى كيلت لها .

وفى النهاية أخبروها انها لو وقعت على ورقة تقر فيها انها مذنبة قاتلة فانهم لايحكمون عليها بالقتل، فأجابتهم متحدية انها لاتخضع لأمرهم ولو رأت النيران مهيأة لها — وأخيراً بعد ان ذاقت جان مر العذاب أخذت المسكينة تستعطف قضاتها معلنة اليهم انها امرأة ضعيفة كسر قلبها طول العذاب والتهديد بالنيران . ولم يجد استعطافها شيئاً أكثر من زيادة التعذيب فخضعت لهم بدافع حب الحياه وتأثرت بصياح الشعب فيها (هل تودين الموت ياجان ؟ ألا تنجين نفسك ؟) .

ووقف كوشون وفى يده ورقتان مخطوط عليهما جملتان أحداهما السجن المؤبد إذا خضعت لما طلب اليها؛ والثانية احراقها لو ظلت على انكارها. فلما قدمها اليها للتوقيع على إحداهما وقعت على الأولى وخط كاتب الجلسة وهو جيلبرت مانشون على هامش الورقة هذه الكلمات (وفى آخر الحكم قالت جان تحت تأثير الخوف من الاحراق بأن عليها اطاعة أوامر الكنيسة) .

حصلوا على مبتغاهم فأرسلوها موثقة إلى سجنها . فلما رأت نفسها وحيدة عاودتها شجاعتها فأعلنت أنها لم ترتكب أى جرم وإن كل ما قالته كان خوفا من النيران؛ إلا أن صراخها ذهب هباء وتقرر احراق العذراء البريئة التى كانوا يخشونها فى قلوبهم .

وتبع الجنود الانجليز العربة التى حملتها إلى السوق القديمة فى روان حيث أعدت لها النيران ، وصفت السكرامى على الأفريز جلس عليها الأساقفة لمشاهدة حفلة أحراقها وخطت هى اليهم طالبة صليبا إلا أن أحداً منهم لم يجرؤ على إعطائها إياه .

وأوقدت النار ، وتطلعت جان لآخر مرة إلى العالم الذى ملأته نصراً وإعجابا فظهرت وعليها مسحة نبيلة هى قوة مقدسة من وراء العالم وتخيلت انها تسمع الأصوات التى اعتادت سماعها تكلمها من قلب النيران وصاحت (قد كنت أظنني مخدوعة)

الشعر المصرى فى مائة عام

الأستاذ سيد كيلانى

الدور الأول

١٨٥٠ — ١٨٨٢

٣ — أساليبه والفاظه

كانت أساليب الشعر فى هذا الدور ضعيفة ركيكة مبتذلة ، وتراكيبه سقيمة تكاد تكون عامية . وذلك نتيجة لانحطاط الشعر فى الأجيال السابقة ، وبعد الشعراء عن دراسة آثار الفحول الذين ظهروا فى عصور الرقى وعهود الازدهار . ومن أمثلة هذا الضعف قول صالح مجدى :

واختص كلا بقانون فترجمه بسرعة وبيان واضح الكلم

فقوله « بسرعة » مما يجرى على ألسنة العامة .

وقول عبد الله فكرى :

وفى علم مولاى الكريم خلائقى قديما وحسبى شاهدا مخلصا برا

فعبارة « وفى علم » سوقية محضة .

وقال الليثى :

فإن مصابا حل قد حل وانقضى ونحن بما يأتى نسام ونشغل

فصدر هذا البيت مما تنطق به الدهماء .

وقول أبى النصر :

ومنى عليكم كل يوم تحية وسائر أحبابى الكرام ذوى المجد

كذا جملة الاخوان شرقا ومغربا متى سألوا عنى ولو أخلفوا وعدى

وهذه هى آخر جملة فاهت بها — وجمع أسقف وينشستر رفات جسدها المحروق ونثره فى نهر السين وحلقت روحها العظيمة فطمست عار الذين حولها وقسوتهم . وترى اليوم تمثال جان دارك الذهبى مهاجما لأسقفية وينشستر فى كتدرائيتها وستظل إلى الأبد رمز الطاهرة والوفاء والشجاعة النادرة وطهارة القلب — وإذا كانت قلوبنا تتفطر حسرة على نهاية هذه البطلة المحزنة إلا أن هذه النهاية تتوج من غير شك قصتها العجيبة .

عبد الرحمن فهمى